الأعلام الجغرافية النجدية
"دراسة تداولية"

د٠ خالد بن سليمان القوسي (*)

المقدمة :

اللغة الإنسانية ظاهرة اجتماعية، ترتبط بالمجتمع ارتباطا وثيقا جدا، فتؤثر فيه وتتأثر به. فالمجتمع الإنساني لا يعي ذاته – كما يرى بعض علماء الاجتماع – إلا بأمرين: تاريخه، وثقافته. والثقافة لا تنفك عن اللغة، إذْ هي إطارها وقالبها؛ ولذا فاللغة تشكل جزءا من تاريخ أي مجتمع، فدراسة مفرداتها وتطورها وتحليل محتويات كلماتها يشكل مفتاحا مهما لدراسة المجتمع ومعرفة أسراره؛ لأن اللغة تتجاوز كونها وسيلة تواصل إلى كونها أداة تكوين وترابط للناس في كيانات قومية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو جغرافية أو نحوها (١). فهي هوية ثقافية واجتماعية للفرد والمجتمع. فالمتكلمون بلغة واحدة أشبه ما يكونون أعضاء ناد اجتماعي، وهم حاملو بطاقات عضوية ذلك النادي.(٢)

ولا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعنيين؛ لأن فيها من الإنسان فكره وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه.

(*) الأستاذ المشارك بقسم علم اللغة التطبيقي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) انظر: جون جوزيف، اللغة والهوية، ترجمة: عبدالنور الخراقي، الكويت، المجلس الوطني للآداب والفنون، سلسة عالم المعرفة، ٢٠٠٧م، ص٨٥.

(٢) انظر: جرالف فاسولد، علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ترجمة: إبراهيم صالح الفلاي، الرياض، طباعة ونشر جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ ، ص ص ١–٣.

ولذا فإن علماء اللغة اهتموا بدراسة اللهجات الاجتماعية أو الطبقية في كل مجتمع لغويّ، من حيث خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وتوزيعها داخل هذا المجتمع، ودلالتها على المستويات الاجتماعية المختلفة. إضافة إلى ذلك فقد اهتموا بدراسة البيئات الاجتماعية للغات، فالبيئة التي تنشأ فيها اللغة تؤثر كثيرا فيها، ومن ذلك ملاحظتهم أن البيئة الصحراوية تنشأ فيها عشرات المفردات التي تعبر عن الحجر أو الجبل أو الخيل أو الجمل أو نحوها، كما هو الحال بالنسبة للعربية، وكما لاحظوا – أيضا – وجود عشرات الأسماء للجليد في لغة الأسكيمو، نظرا لأن تلك البيئة هي بيئة الجليد.

لاشك في أنّ العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية، وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين، قائمةٌ منذ أن وُجدت اللغة ووجدت الحياة الاجتماعية. فجوهر الإنسان إنما يكمن في لغته وظروفه المحيطة به. ومن الثابت أن الاختلاف الجغرافي بين اللغات هي واحدة من أولى الملاحظات حول الاستعمال اللغوي. فاللغة ذات اتصال وثيق بعلوم أخرى كثيرة، كعلم الاجتماع والجغرافيا والأنثربولوجيا والفيزياء وعلم الإنسان وعلم النفس والإحصاء وغيرها، مما أدّى إلى نشأة فروع لغوية جديدة، وهي ما يطلق عليه "العلوم البينية"، ومنه "علم اللغة الجغرافي". يقول علي وافي: (علم اللغة بحاجة إلى العلوم الأخرى دراسة وعرضا وتحليلا[1]، فهو يستعين بعلم الأعضاء، وعلم الاجتماع والجغرافيا والتاريخ، وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى).

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يسعى إلى الربط بين اللغة والظواهر الاجتماعية، والبيئة التي تستخدم فيها اللغة، المتمثلة في التسميات الجغرافية. فالأعلام الجغرافية مفردات لغوية، واللغة انعكاس للبيئة التي تصاغ فيها. ومن هنا

(١) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط ١٠، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٩٧م ص٣٣.

جاء البحث ليلقي الضوء على هذا الرصيد المعرفي، عن طريق دراسة أسماء الأماكن الجغرافية النجدية، من منظور لغوي تداولي. وهو من الموضوعات التي لم تحظ بالاهتمام المستحق من الباحثين، بالرغم من أهميته.

وتسعى الدراسة إلى كشف الظواهر اللغوية (الصوتية، الصرفية، التركيبة، الدلالية، البلاغية، ونحوها) للأعلام الجغرافية النجدية. كما تسعى إلى كشف الأبعاد الثقافية للأعلام الجغرافية النجدية.

الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدراسات اللغوية الجغرافية، وبما أن المقام لا يتسع لذكرها جميعا فإني سأستعرض – باحتصار – شيئا منها، وهي كما يلي:

١– دراسة عبد العزيز بن إبراهيم السويل (١٩٩١م): نحو أطلس لغوي سعودي:[١]

وناقش فيها المسائل التالية: أهمية بناء المعاجم اللغوية، وآليات بناء المعاجم اللغوية الجغرافية، وآليات المسح اللغوي، وآليات تصميم الاستبيان اللغوي، وكيفية بناء خرائط اللهجات، والقيمة العلمية لبناء الخرائط الجغرافية اللهجية. ولم يناقش الباحث آليات صناعة الأعلام الجغرافية، كما لم يتعرض للجوانب اللغوية كثيرا.

٢– دراسة يحيى جبر (١٩٩٦م): الأعلام الجغرافية؛ دراسة في تكونها وفلسفتها[٢]:

ناقش الباحث في هذه الدراسة مجموعة من المسائل، وهي: مذاهب العرب في تسمية الأعلام الجغرافية، وذكر منها: تسمية المكان باسم أول من سكنه أو نسب إليه، وتسمية العلم الجغرافي بصفته، وقصر الدلالة، وهو أن يطلق عليه اسم جنسه، كالبيداء، والتسمية بالمصادر المائية، والتسمية بنبات أو حيوان يكثر

(١) مجلة دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، مجلد ١٧، ١٩٩١م، ص ص ٢٦ ـ ٤٩.
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٨٠، نوفمبر ١٩٩٦م، القاهرة، مصر، ص ٣٩ – ٥٠.

في المنطقة. كما ناقش أبنية الأعلام: مفردة، ومركبة، وأنواع التركيب، وأعلام في مبنى الفعل.

وتحدث عن التفسير الأسطوري للأعلام الجغرافية. وناقش أصول الأعلام الجغرافية، فمنها ما هو عربي الأصل، ومنها أعجمي الأصل. وهو بحث لغوي جغرافي، يتحدث عن عموم الأعلام الجغرافي العربية، وليس خاصا بالأعلام الجغرافية السعودية، كما أنه لم يتناول الخصائص الصوتية والصرفية والتداولية لتلك الأعلام.

٣- دراسة إبراهيم موسى الزقرطي (١٩٩٧م): أسس الأسماء الجغرافية[١]:

يناقش الباحث في هذه الدراسة أهمية الأسماء الجغرافية، ومدى ملاءمتها لقواعد الإملاء، وقواعد النحو. كما يناقش موضوع اللهجات، وتشكيل الأسماء الجغرافية، ويناقش آليات تسمية المعالم الجغرافية، وتغيير الأسماء الجغرافية وترجمتها، ويشتمل الكتاب على فهارس ومعاجم الأسماء الجغرافية في الأردن.

ومجتمع الدراسة هو دولة الأردن، كما أن البحث يركز على أسباب اختيار الأسماء الجغرافية، دون أن يحللها تحليلا لغويا أو تداوليا، ودون أن يربط ذلك بالأبعاد الثقافية.

٤- دراسة حسن عايل أحمد يحيى (١٤٢٥هـ): معاجم أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية.[٢]

ناقش الباحث مسائل متعددة، منها تعريف المعجم الجغرافي، ووظيفة معاجم أسماء الأماكن الجغرافية، والتعريف بمعاجم أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة

---

(١) المركز الملكي الجغرافي الأردني، عمّان، الأردن، ١٩٩٧م.

(٢) معاجم أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية، مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والتربية،كلية المعلمين بجدة، العدد ٢، السنة الأولى، جمادي الأول ١٤٢٥هـ ص ١ - ٢٨.

العربية السعودية، وصفات معاجم أسماء الأماكن الجغرافية وخصائصها، والصعوبات التي تواجه استخدام معاجم أسماء الأماكن الجغرافية، ونحوها، ويمكن تصنيف هذا البحث على أنه دراسة وصفية نقدية للمعاجم الجغرافية في المملكة العربية السعودية، ولم يول الجانب اللغوي أو التداولي عناية تذكر، فهو بحث جغرافي أكثر من كونه لغويا.

٥- دراسة خالد نعيم الشناوي (٢٠١١م): الأطلس اللغوى والبحث اللسانى عند العرب: مقاربة منهجية[١]:

ناقش الباحث في هذه الدراسة جهود العلماء العرب المتقدمين في مباحث علم اللغة الجغرافي، كجهودهم في وضع الأطلس اللغوي، والمسح اللغوي، واستعرض شيئا من جهود الخليل بن لأحمد، وأبي العلاء المعري، وغيرهم، فهو بحث وصفي يسرد جهود العرب، وليس دراسة لغوية تحليلية.

٦- دراسة فهد بن سعيد آل مثيب القحطاني (١٤٣٤هـ): أسماء الأماكن في منطقة عسير؛ دراسة لغوية:[٢]

تكونت الدراسة من أربعة فصول. ناقشت في فصلها الأول أنواع أسماء الأماكن في منطقة عسير، وقسمها إلى أسماء مرتجلة، وأسماء منقولة. وناقشت في الفصل الثاني الظواهر الصوتية للأسماء، فناقشت الظواهر الصوتية للصوامت، فالظواهر الصوتية للحركات، فالتشكيل الصوتي. أما الفصل الثالث فكان عن الظواهر الصرفية للأسماء، حيث ناقشت أبنية أسماء الأماكن، فأوزانها.

---

(١) مجلة آداب ذي قار، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العدد ٣، المجلد١، ٢٠١١م، ص ١ - ١٣.

(٢) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٤ هـ. ويماثلها دراسة أخرى للباحث مكين بن حوفان القرني، وهي بعنوان: أسماء الأماكن في منطقة مكة المكرمة: دراسة لغوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٤ هـ.

أما الفصل الرابع فكان عن الظواهر الدلالية، فناقشت الدلالة المعجمية، فالدلالة الإيحائية، ثم الدلالة الاجتماعية.

ويظهر من هذا العرض الموجز اختلاف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية في مجتمع الدراسة، فالدراسة السابقة عن الأعلام الجغرافية في منطقة عسير، في حين أن مجتمع الدراسة الحالية هو الأعلام الجغرافية في منطقة نجد. كما أن الدراسة السابقة لغوية محضة، في حين إن الدراسة الحالية دراسة لغوية اجتماعية، تتناولها بالمنهج التداولي، وتربط الأعلام بأبعادها الثقافية والاجتماعية والتاريخية ونحوها.

المبحث الأول: (الإطار النظري):

أولا: علاقة اللغة بالجغرافيا:

يرتبط علم اللغة بالعلوم الإنسانية الأخرى ارتباطا وثيقا، فاللغة هي اللسان الناطق، والانعكاس المعبر عن كل تلك العلوم. فاللغة هي قلب الحضارة، فبها يفكر الناس، وبها يعبّرون، وعن طريقها يدوّنون إنتاجهم العلمي والفكري، وبها يدوّنون أدبهم وتاريخهم، ويرصدون تراثهم وعاداتهم وبيئتهم. فاللغة مرتبطة بحضارة أهلها، بكل ما تحمل الحضارة من أطياف سياسية، وفكرية، وثقافية، واقتصادية، وملامح سلوكية وبيئية وجغرافية وتاريخية.

اللغة سلوك بشري يتشكّل وفقا للهوية الفردية والجماعية، ووفقا للظروف والتفاعلات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجغرافية. وتتأثر اللغة بالأحداث التاريخية، والأنشطة البشرية، والظروف البيئية. ولكل عامل من تلك العوامل بصمته وتأثيره، سواء في إطلاق اسم، أو استحداث لفظ، أو تعريب كلمة، أو توليد معنى.

وتعدّ الأسماء الجغرافية سجلا مهما من سجلات التراث الثقافي الإنساني، فالمكان أسبق في وجوده من الوجود الإنساني؛ فقد خلق الله سبحانه وتعالى

الأرض وذللها لتكون المكان الأكبر لحياة الإنسان. وعلى الأرض كان إدراك الإنسان للزمان والمكان.(١) على أن المكان يتجاوز الحد الجغرافي والوصفي إلى ما يسميه "باشلار": (سمات المأوى التي تبلغ حدًّا من البساطة، ومن التجذر العميق في اللاوعي، يجعلها تستعاد بمجرد ذكرها أكثر مما تستعاد من خلال الوصف الدقيق لها).(٢)

وإذا أخذنا في الاعتبار أن الأسماء الجغرافية انعكاس لأحداث تاريخية وبيئة ثقافية، وظروف جغرافية، فإن هذا يعني أننا نقف أمام رصيد معرفي وحضاري ذي قيمة عالية.

ويتفق علم اللغة وعلم الجغرافيا في كونهما من العلوم الإنسانية المتطورة، وقد اقتبس علم اللغة طرائق علم الجغرافيا ليضع حدودا للغات واللهجات المختلفة، في خرائط تبين معالم كل لغة ولهجة من حيث الأصوات والمفردات والتراكيب والاستعمالات اللغوية المختلفة. فقوم يهمسون أصواتا وقوم يجهرونها، وقوم ينطقون الفتحة الصريحة وقوم يميلونها، ولهجة تنبر المقطع الأول، ولهجة تنبر المقطع الأخير. كما تبرز هذه الخرائط مسألة استعمال المفردات والتراكيب، من حيث البنية والمترادفات وحجم الاستعمال، مما يتيح معرفة الواقع اللغوي للمنطقة الجغرافية. وتعد الدراسة اللغوية الجغرافية من أحدث وسائل البحث في الدراسات اللغوية في العصر الحديث.(٣)

وتسعى هذه الدراسات للكشف عن أهم الوحدات الدلالية لمنظومة الأسماء الجغرافية في مجتمع ما، باستقراء دلالات التغيُّر في تلك المنظومة، وتتبع تلك

---

(١) انظر : محمد السيد إسماعيل، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، الشارقة، الإمارات، دار الثقافة والإعلام، ٢٠٠٢م، ص١٢.

(٢) انظر : غاستون باشلار ، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، ص٤٢.

(٣) انظر: رمضان عبدالتواب، الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر، القاهرة، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٣٧، مايو، جمادى الأولى، ١٩٧٦م، ص ص ١١٩ – ١٢٤.

التغيرات على المستوى المُورفولوجي والدلالي. وتسعى لدراسة تأثير الأحداث التِّي أسهمت في نسج التاريخ الاجتماعي والثقافي على التمثُّلات الذهنية لاختيار الأسماء الجغرافية[١]. كما تسعى لتحديد مواقع التنوع اللغوي ودراسة معطيات وأسباب هذا التنوع، وربطه بالتنوع الجغرافي، كما تهدف إلى التخطيط اللغوي لوضع خرائط جغرافية أو أطالس لغوية، تبين توزيع انتشار اللغات واللهجات في مناطق تواجدها.[٢]

وبناء على ذلك فإن علم اللغة الجغرافي هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يبحث في تصنيف اللهجات واللغات على أساس جغرافي، وكل ما يجمع بين اللغة والجغرافيا.

ثانيا: المعاجم الجغرافية:

تقوم المعاجم الجغرافية على جمع الأماكن الجغرافية من البلاد والمدن والأقاليم، مع وصف لتلك الأماكن بما تحتوي من جبال سهول وأنهار وبحيرات وآبار وغيرها. كما تقوم بتعريف تلك الأماكن من حيث الموقع والخصائص الطبيعية والحضارية واللغوية. كما تستعرض الأحداث التاريخية والسياسية والاقتصادية التي مرت بها. كما تقوم بتعريف وشرح المصطلحات وأسماء الأماكن، وتبين معانيها ودلالاتها واستخداماتها، وتضبط طريقة نطقها.

وقد أدرك الجغرافيون الأهمية اللغوية لوضع تلك الأسماء، ويتجلى ذلك في ملاحظاتهم اللغوية على تلك الأسماء، واهتمامهم بضبطها، وتصنيفها وربطها

---

(١) انظر: هدى جباس، الاسم: هوية وتراث، مقاربة أنثروبولوجية لدلالة الأسماء في قسنطينة، مجلة إنسانيات، العدد ٢٩-٣٠، وهران، الجزائر، منشورات CRASC ، ٢٠٠٥م ، ص ١٤٣-١٧٢.

(٢) انظر: ماريو باي، لغات البشر أصولها طبيعتها وتطورها، ترجمة: صلاح العربي، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٨٠م، ص ١٢.

بطبيعة المسمى، كما يهتمون برصد اللغات واللهجات وتأثير الطبيعة الجغرافية عليها. ومن ذلك ما كان يفعله ابن بطوطة في تدوين رحلاته[١].

ويلحظ أن هذه المعاجم يتم ترتيب موادها وفقا للحروف الهجائية أو الألفبائية، وهي طريقة ترتيب مواد المعاجم اللغوية. ويزخر التراث العربي بالكثير منها، ومن ذلك "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع"، تأليف أبي عبيد البكري (٤٨٧هـ)، وهو أول معجم جغرافي باللغة العربية، ويتبع الترتيب الألفبائي، ويتكون المعجم من ٧٨٤ بابا، يحتوى على ٢٥٠٠ موضع معظمها في الجزيرة العربية.

ومن ذلك معجم البلدان، تأليف ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، وهو مقسم إلى ثمانية وعشرين كتابا بعدد حروف الهجاء. ومن ذلك معجم "المسالك والممالك" لأبي عبيد البكري، وغيرها كثير.

وقد عمد الباحثون والجغرافيون العرب في العصر الحديث إلى هذا النمط من البحوث، ومن ذلك: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، تأليف محمد رمزي)[٢].

أما عن المملكة العربية السعودية فقد صدرت مجموعة من المعاجم الجغرافية، بدأها العلامة حمد الجاسر، ودعا العلماء إلى التأليف عنها، فصدرت مجموعة من المعاجم، ومنها المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية (بلاد البحرين قديمًا) لحمد الجاسر[٣]. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية

---

(١) انظر: عبدالعزيز الحميد، ابن بطوطة وجهوده اللغوية الجغرافية: ألفاظ الأطعمة والأشربة أنموذجا، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

(٢) من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، صدر في خمسة أجزاء بين عامي ١٩٥٣-١٩٧٠م.

(٣) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٩م.

السعودية: شمال المملكة، تأليف حمد الجاسر[١]. ومعجم بلاد القصيم، تأليف محمد بن ناصر العبودي[٢]. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: معجم اليمامة، تأليف عبد الله بن خميس[٣]. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودي – المخلاف السليماني :جازان، تأليف محمد بن أحمد العقيلي[٤]. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد، تأليف سعد بن عبدالله بن جنيدل[٥]. ومعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد الجوف أو دومة الجندل، تأليف سعد بن عبدالله بن جنيدل[٦]. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عسير، تأليف علي بن إبراهيم الحربي[٧]. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد رجال الحجر، تأليف عمر بن غرامة العمروي[٨]. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية

(١) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) طبع عام ١٤١٠ هـ، دون ناشر.

(٣) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٨ هـ.

(٤) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٩م.

(٥) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٨م.

(٦) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١م.

(٧) مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٧هـ.

(٨) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية،

السعودية: بلاد بارق، تأليف عمر بن غرامة العمروي[١]. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد غامد وزهران، تأليف علي بن صالح الزهراني[٢].

ثالثا: الأطلس اللغوي:

تكمن أهمية الأطلس اللغوي في كونه أداة حديثة تقوم على الربط بين علمي اللغة والجغرافيا، بحيث يقوم بالربط بين الظواهر اللغوية وامتدادها الجغرافي، ويشمل ذلك الظواهر الصوتية والتركيبية والمعجمية والدلالية. ويتم ذلك عن طريق رسم خرائط جغرافية للغات واللهجات، وما يتبع ذلك من دراسة التطور اللغوي، والتعدد اللغوي، والامتداد اللغوي والصراع اللغوي. وقد تكون تلك الخرائط مقيّدة بتطوّرها الزّمنيّ، أو مقسّمة إلى حقبات تاريخيّة معيّنة.

ويسهم هذا في تدوين الواقع اللغوي، ورسم السياسات اللغوية، وبناء التخطيط اللغوي لكل مجتمع. كما أنه يعزز من مكانة اللغة في مجال التقنية، حيث يقوم هذا العمل على استخدام تقنية الحاسب الآلي، ونظم تقنية المعلومات، وبناء المدونات اللغوية، عن طريق بناء الخرائط الرقمية الحاسوبية.[٣]

وهناك عدة مناهج لبناء الأطالس اللغوية، يبرز منها المنهج الذي يقوم على مسارين:

١- مسار لغوي يقوم بجمع اللغات واللهجات في مجتمع ما، مع تحديد مظاهر وملامح تلك اللغات واللهجات، وجوانب تطورها، والتأثر والتأثير بينها، والمقارنة بينها.

---

(١) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية،

(٢) من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١م.

(٣) انظر: خليل محمود عساكر، الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد ٧، ١٩٥٣م، ص ص ٣٧٩ ـ ٣٨٤.

٢- مسار جغرافي يقوم على تحديد الظواهر الجغرافية وتحديد الأماكن - قديمها وحديثها - لتلك البيئة، ووضع الخرائط الجغرافية لها.(١)

وهي طريقة بحثية جديدة، بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، على يد العالم الألماني جورج فينكر "Wenker" ، والعالم الفرنسي قيليرون "Gillieron" الذي قام بعمل أطلس لغوي فرنسي عام ١٩٠٦م.

ثم ظهرت مجموعة من الأطالس اللغوية في العالم، ومنها الأطلس اللغوي لسوريا ولبنان وفلسطين، الذي قام بوضعه العالم الألماني جوتهلف برجشتراسر "Bergstraser" عام ١٩١٥م، حيث قام بوضع ٤٢ خريطة لغوية تفصيلية، وخريطة واحدة شاملة.(٢)

كما قام العالم الألماني بيتر بينشتيد "P.Behnsted" بوضع أطلسين؛ أحدهما لمصر، والآخر لليمن. الأول تضمن ٥٦١ خريطة لغوية، والثاني تضمن ١٦٨ خريطة لغوية.(٣)

علما أنَّ علماء العربية الأوائل قد استخدموا المنهج البحثي التطبيقي الحديث، عن طريق استقراء اللغة وجمعها وتحديد القبائل التي يُعتمد عليها في الإعراب

---

(١) انظر: عبدالعزيز الحميد، نحو أطلس جغرافي للجزيرة العربية، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر "اللغة العربية ومواكبة العصر" المعقود في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، في ١٧ - ١٩ جمادى الأولى عام ١٤٣٣ هـ، المحور الثاني، القسم الثاني، ص ٢٢٦-٢٦٩.

(٢) انظر: رمضان عبدالتواب، الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر، ص ص ١١٩ - ١٢٤.

(٣) انظر: إبراهيم الخطابي، لأسس النظرية والمنهجية لأطلس مجتمع اللسان العربي، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٤، شعبان ١٤١٨ هـ - ديسمبر ١٩٩٧م، ص ١٩.

والتصريف. غير أنهم اعتمدوا على آلية التوزيع القبلي، بدلا عن الخرائط الجغرافية.(١)

رابعا: الأبعاد اللغوية والثقافية للأسماء الجغرافية:

أسماء الأماكن الجغرافية هي صناعة لغوية، فالاسم مكوّن من مكونات اللغة، والعَلَمُ أحد المعارف الستة في العربية. فالأسماء الجغرافية جزء من البيئة اللغوية والثقافية، فهي بمثابة جانب من أقدم الجوانب الحيّة للتراث الثقافي الإنساني، الممتد عبر مئات أو آلاف من السنين، وتشكل جزءًا من الذاكرة التاريخية والخبرات الإنسانية الفردية والجمعية. فالاسم ليس إلاّ منتجا رمزيا وتراثا غير مادي للغة والثقافة(٢). وتُعد تسمية الأماكن أحد فروع اللسانيات الاجتماعية، وهو ما يطلق عليه علم أصول الكلمات وأشكالها.

إن وضع الأسماء الجغرافية يخضع لعوامل تراثية ونفسية وثقافية، واجتماعية وتاريخية. وهي التي تُحدِّد المجال الدلالي السائد في منظومة التسمية. وهي حدث أنثروبولوجي مشحون بالعديد من الدلالات التاريخية، والمعتقدات الفكرية، ويُعبِّر عن الثقافة المحلية الموروثة، ويكشفُ عن الهُوية الثقافية، كما يكشف عن العقلية الجمعية المُشتركة.

كما أن مسألة تطوّر الأسماء مرتبطة بتحميلها – في كلّ طور – بحُمولة مختلفة تعكس زمن الاستخدام وفضاءه الاجتماعي، كما تعكسُ انتماءها للمحيط الذي تظهر فيه. وتخضع لأسس النظام الرمزي الاثني الثقافي والهُوياتي لفضاءاتها الاجتماعية.

---

(١) انظر: خالد نعيم، الأطلس اللغوي في التراث العربي دراسة في كتاب سيبويه، لندن، دار السياب، ٢٠١٠م.

(٢) انظر: أحمد بوكاري، الأعلام الجغرافية كمصدر من المصادر الحضارية، في الاسم الجغرافي: تراث وتواصل، المحمدية، المغرب، أعمال الندوة الوطنية الأولى للأعلام الجغرافية، مطبعة فضالة، أكتوبر، ١٩٩٤م.

وقد اهتم علم الأنثروبولوجيا بدراسة الأسماء باعتبارها تقوم على فهم الذهنيات، من خلال ما يُنتجه الإنسان من مُمارسات تسموية عبر الزمن. فالبحث في علم الأسماء يسعى إلى إبراز الاختلاف الثقافي كما يسعى إبراز الأبعاد الأيديولوجية، وإبراز الهوية الفردية والجمعية. (١)

وإن كان الاسم الجغرافي يُطلق – عادة – في إطار البيئة الجغرافية فإنه يُشكل أداة لغوية ضرورية تؤدي وظائف ذات مستويات متعددة، كالمستوى المعرفي الذي يُحدد هوية الكيان، والمستوى العاطفي، مثل الأسماء المتصلة بأماكن تستثير مشاعر طيبة أو سيئة، كالجنة والنار، أو المستوى الآيديولوجي، مثل لينغراد وستالينغراد، وإسلام آباد ونحوها.

وقد برز الاهتمام – في العقود الأخيرة – بحماية الأسماء الجغرافية باعتبارها جزءًا من التراث اللغوي والثقافي، حيث تم تنظيم كثير من المؤتمرات في شتى أنحاء العالم لدراسة هذا الجانب التراثي الثقافي المهم. ففي عام ١٩٩٩م اختارت فنلندا موضوع أسماء الأماكن "ذاكرة الأماكن" موضوعاً لها في مناسبة "أيام التراث الأوروبي". وقد اعتمدت مؤتمرات الأمم المتحدة المعنية بالأسماء الجغرافية عدة قرارات لتوحيد الأسماء وحمايتها وأهمية الاعتناء بها. ومن ذلك ما جاء في المؤتمر الثامن ، المنعقد عام ٢٠٠٢م، ففي القرار د – ٨ جاء التأكيد على أهمية الأسماء الجغرافية باعتبارها جزءًا من تراث الأمم التاريخي والثقافي، وشملت التوصية التنويه إلى بعض الأنشطة في مجال معاملة الأسماء الجغرافية، كالجمع والتفسير والتوحيد والنشر والتدريس.

ومن ذلك ما جاء في مؤتمر الأمم المتحدة التاسع المعني بتوحيد الأسماء الجغرافية نيويورك عام ٢٠٠٧م من التأكيد على الاهتمام بالأسماء الجغرافية،

---

(١) انظر: هدى جباس، الاسم: هوية وتراث، مقاربة أنثروبولوجية لدلالة الأسماء في قسنطينة، ص ١٤٣-١٧٢.

باعتبارها تراثا ثقافيا غير مادي، والتأكيد على "اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي"، التي اعتمدتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) في ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣م، ومنها أن هذه الأسماء تنمي الإحساس بالهوية والشعور بالاستمرارية[١]، وأن الترويج لتدوين هذه الأسماء واستعمالها يمثل إسهاما قيّما في الاعتراف بتراث الشعوب الأصلية والأقليات والمجموعات اللغوية الإقليمية وحفظه وإحيائه[٢]، وأن معنى الأسماء الجغرافية يمثل جانبا ذا شأن من جوانب المعلومات التراثية التي يرجح أن تذكي الإحساس بالهوية[٣].

المبحث الثاني: الإطار التطبيقي:

سيعتمد الباحث على المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد (إمارات الدوادمي والقويعية والخاصرة وعفيف ووادي الدواسر وغيرها)، تأليف سعد بن عبدالله بن جنيدل [٤]. وهو معجم مصنف حسب الحروف الألف بائية. وسيقوم الباحث بالاختيار العشوائي بعدد مقارب من كل باب، ثم يقوم بتحليل تلك الأعلام لغويا، وتداوليا، ثم يقوم بدراسة الأبعاد التاريخية والجغرافية والثقافية لتلك الأعلام، وأثرها في تحديد هوية المجتمع النجدي. وسيعمد الباحث إلى المنهج الوصفي التحليلي، وسيختار من مناهج التحليل المنهج التداولي، لملاءمته لموضوع البحث.

---

(١) منشورات الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة التاسع المعني بتوحيد الأسماء الجغرافية، ص ٤٦.

(٢) منشورات الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة التاسع المعني بتوحيد الأسماء الجغرافية، ص ٤٧.

(٣) منشورات الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة التاسع المعني بتوحيد الأسماء الجغرافية، ص ٤٩.

(٤) منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٩ هـ.

أما عينة البحث فقد قام الباحث باختيار مئة علم جغرافي بطريقة عشوائية، بحيث يتم اختيار علم من كل عشرين صفحة تقريبا. وقد اتخذ هذه الطريقة نظرا لحجم البحث، وسعيا لتكون ممثلة لمجتمع الدراسة، ولمنع التحيز لصالح نتيجة محددة مسبقا، ولكي تكون النتائج أكثر واقعية. أما الأعلام التي وقع عليها الاحتيار فهي:

(أبرق الطير، أبْرق المِلْح، أبو جراد، أبو حراب، أبو سدرة، أبو سنون، أبو عشيرة، أبو قاع، الأخضر، الأرطاوي، الأصيم، الأكوام، أم أثلة، أم البيبان، أم رقيبة، أُمَ الشَّلاهِيب، الباردة، البدايع، البرَّة، بريريق، البيضاء، الثوير، تين، جاحد، الجربا، الجِلْه، الحصاة، الجُهَيميَّة، حائل، حُدَيجة، الحصِّيّات، الحفاير، حَلَبَان، الحُلوة، حُمَيَّان، الحَنَابِج، حَوْمَل، خَشْم جُوَيْل، الخَمَاسِين، الدَّارَة، دَسْمَان، دَفْنا، الدَّلبحيَّة، الدَّوادمي، جَهَام، الذُّوَيْب، الرُّبْد، الحَفيرة، الرُّدَينيّات، الرَّفايع، الرَّفيعة، الرُّكَيَّة، رَوضة أمّ خُشَيم، الزَّبْدانيَّات، ساجِر، السُّرَّة، سَنَام، سناف الطراد، سَيْحان، الشّاة، شَرَارة، الشُّرْفة، الشَّعْراء، الشُّعَيْبَة، الصَّاخِن، الصَّالحيَّة، صُبَيْحَا، صَفْرا السِّرّ، الصُّفْرَة، ظَلْم، الظُّلَيْف، العِبْلَة، العَرَايس، العَرْمَة، العُرَيْق، عَسِيْب، عُنَيْزَة، العُيَيْنَة، الغُرابي، الغَرْبيَّة، فَجّ، الفَيْضَة، قُرَيْنات، القُوَيْعيَّة، كَبِد، كُتَيْفَة، لُبَيْدَة، المَحَامَة، المَرْوَة، مزْعِل، مُصِدَّة، مُطْرِبة، المَكَاحِيل، المنْدَسَّة، المُوَيْه، النَّبَّاع، وادي المياه، الوُسَيْطَى، يَذْبُل، الهُضيب).

أولا: الظواهر اللغوية:

الجانب الصوتي:

بالتأمل في التركيب الصوتي للأعلام الجغرافية سنجد أن السمة الغالبة عليها هي استخدام الأصوات القوية، كالمجهورة والانفجارية والمفخمة. ومن الكلمات ذات الحروف المجهورة: الباردة، أبو جراد، أبو عشيرة، أبو قاع، البدايع، بريريق،

الجربا، الحَنَابِج، الدَّلبحيَّة، الزَّبْدانيَّات، الشُّعَيْبَة، الغَرْبيَّة، مُصِدَّة، النَّبَّاع، القُوَيْعيَّة، وغيرها.

ومن الكلمات ذات الأصوات المفخمة (وهي أصوات استعلاء وإطباق): أبرق الطير، أبو قاع، الأرطاوي، الصَّاخِن، الصُّفْرَة، الغُرابي، الهُضيب، ، القُوَيْعيَّة، الأخضر، وغيرها.

ومن الكلمات ذات الأصوات الشديدة: أبرق الطير، الأرطاوي، بريريق، الدَّلبحيَّة، الذَّوادمي، الفَيْضَة، الوُسَيْطَى، الهُضيب، وغيرها.

ومن الكلمات ذات الأصوات الانفجارية: أبرق الطير، أبو جراد، الأرطاوي، أم البيبان، الباردة، البدايع، الجربا، حُدَيجة، مُطْرِبة، وغيرها.

كما أني وجدت بعضا من الأصوات تكررت بشكل ملحوظ، ومن ذلك صوت "الراء"، حيث ورد في سبعة وثلاثين علما، بعضها جاءت فيه الراء مكررة أو مضعّفة، وهي: أبرق الطير، أبرق الملح، أبو جراد، أبو حراب، أبو سدرة، أبو عشيرة، الأخضر، الأرطاوي، أم رقيبة، الباردة، البرَّة، بريريق، الثوير، الجربا، الحفاير، الدَّارَة، الرُّبْد، الحَفيرة، الرُّدَينيّات، الرَّفايع، الرَّفيعة، الرُّكَيَّة، رَوضة أمّ خُشَيم، ساجِر، السُّرَّة، شَرَارة، الشُّرْفة، صَفْرا السِّرّ، الصُّفْرَة، العَرَايس، العَرْمَة، العُرَيْق، الغُرابي، الغَرْبيَّة، قُرَيْنات، المَرْوَة، مُطْرِبة.

و"الراء" من الأصوات الصامتة، اللسانية، الزلقية، المتوسطة بين الشدة والرخاوة. ويملك صوت "الراء" خاصّية التحرك والترجيع والتكرار والاضطراب[1]. وأحسب أن طبيعة الصحراء المضطربة بالريح والسحاب والمطر وحركة الوادي، وحركة الإبل والغنم والذئاب ونحوها هو ما يفسّر كثرة استخدامها في أعلام هذه البيئة الجغرافية.

---

(١) انظر: كمال بشر، علم الأصوات، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م، ص ص ٤٠٤ – ٤٠٧.

ويصنّف حسن عباس صوت "الراء" على أنه حرف ذوقي، باعتبار أنه حرف لساني، واللسان هو عضو حاسة الذوق. ويحتج بأن كثيرا من الكلمات التي تعبر عن التذوق أو الحرارة كان من مكوناتها حرف الراء، ومما يدل على التذوّق: التمر، الرُّب (عصارة التمر المطبوخ)، الرُّضاب (رغوة العسل)، الرطب (ثمر النخل إذا نضج قبل أن يصير تمرا)، الرمْخ (بسر التمر)، البسر (ثمر النخل قبل أن ينضج)، الشَّور (العسل المستخرج من الخلية، الكمر (البسر يرطب بعد سقوطه على الأرض)، الضّرَبُ (العسل الأبيض الغليظ)، الطَّرم (شهد العسل).

ومما يدل على الحرارة: أرّ النار أرًّا، وأرّثها (أوقدها)، أسعر النار (أشعلها)، السَّقر (حر النار أو الشمس وأذاه)، الأوار والحرور (حرر الشمس أو النار)، الجمر، الحرّ، الرمضاء (شدة الحرّ)، الشرار، صهر (اذاب بالحرارة)، أضرم النار، كهر الحر (اشتد)، النار، الهاجرة (نصف النهار عند اشتداد الحر)، وأر (اشتد حرّه)، وغرت الهاجرة (اشتد حرها)، الرَّضفة (الحجر المحمى بالنار أو الشمس)، نجر اليوم ورَمِهَ (اشتد حرّه)، ذمر النار (أوقدها).[1]

ولعل هذه الفلسفة تفسّر – أيضا – كثرة استخدام الراء في الأعلام الجغرافية النجدية، ذات الطبيعة الحافلة بالأشياء الذوقية وذات الحرارة العالية.

ومن الأصوات تكررت بشكل ملحوظ في الأعلام الجغرافية النجدية صوت "الباء". وهو صوت شفوي، مجهور، انفجاري، شديد.[2]

وقد جاء صوت الباء في اثنين وثلاثين علما، هي: أبرق الطير، أبرق الملح، أبو جراد، أبو سدرة، أبو حراب، أبو سنون، أبو عشيرة، أبو قاع، أم البيبان، أم رقيبة، الباردة، البدايع، البرَّة، بريريق، البيضاء، الدَّلبحيَّة، الذُّوَيْب، الرُّبْد،

(١) انظر: حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، القاهرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م، ص ص ٨٣ ـ ٩٣.

(٢) انظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

الزَّبْدانيَّات، الشُّعَيْبَة، صُبَيْحَا، العِبْلَة، أُمَ الشَّلاهِيب، عَسِيْب، الغُرابي، الغَرْبيَّة، كَبِد، لُبَيْدَة، مُطْرِبة، النَّبَّاع، يَذْبُل، الهُضيب.

أما الامتداد المعنوي لصوت "الباء" فيرى حسن عباس أن له عدة دلالات؛ فإذا لفظ هذا الحرف منفرداً ممدود الصوت (با) فهو يستخدم لتمثيل الأشياء والأحداث التي تنطوي معانيها على الاتساع والضخامة والارتفاع، وهذا يحاكي انفتاح الفم على مداه عند خروج صوته من بين الشفتين، نحو: باب. ولعل هذا ينطبق على الأعلام الواردة في هذه الدراسة، نحو: أم البيبان، النبّاع.

وإذا لُفظ في مقدمة الكلمة دونما مدّ، فبحكم خروج صوته من انفراج الشفتين بعد انطباقهما على بعضها بعضا، فهو يستخدم لتمثيل الأحداث التي تنطوي معانيها على الانبثاق والظهور والسيلان، بما يحاكي واقعة انبثاق صوته من بين الشفتين. ولعل شيئا من هذا ينطبق على بعض الأعلام الجغرافية الواردة مهنا في هذه الدراسة، نحو: الباردة، البدايع، بريريق، البيضاء.

وإذا لُفِظ الصوت مشدّدا بعد ضم، فهو يُستخدم لمعانى البعج والحفر، والقطع والشق، والتحطيم والتبديد، والمفاجأة والشِّدة. فهذه المعاني تماثل انفجاره الصوتي بانفراج الشفتين سريعاً بعد ضمَّة شديدة.(١)

ومن الأصوات ذات التكرار الظاهر في الأعلام الجغرافية النجدية صوت "الميم"، حيث ورد في ستة وعشرين علما من الأعلام المئة الممثلة لعينة الدراسة. وهي: أبرق الملح، الأصيم، الأكوام، أم أثلة، أم البيبان، أم رقيبة، الجُهَيميَّة، حُمَيَّان، حَوْمَل، خَشْم جُوَيْل، الخَمَاسِين، دَسْمَان، الدَّوادمي، جَهَام، رَوضة أمّ خُشَيم، سَنَام، ظَلْم، أُمَ الشَّلاهِيب، المَحَامَة، المَرْوَة، مزْعِل، مُصِدَّة، مُطْرِبة، المَكَاحِيل، المنْدَسَّة، المُوَيْه.

(١) انظر: حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ص ١٠١ – ١٠٣.

وصوت "الميم" صوت مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة. وهو صوت يدل – غالبا –على الاجتماع والانضمام والحرارة والتماسك والانفتاح، طبقا لآلية خروج الصوت، حيث يكون بانطباق الشفتين على بعضهما البعض في ضمة متأنية وانفتاحهما عند خروج النفس، مع شيء من الليونة والمرونة والتماسك والحرارة. أما انفراج الشفتين أثناء خروج صوت الميم فهو يمثل الأحداث التي يتم فيها التوسع والامتداد. وهذا ما يفسر معاني الانغلاق والانفتاح في خصائصه الإيمائية.(١)

ولعل شيئا من هذا ينطبق – على سبيل المثال – على الأعلام: الأكوام، وحُمَيَّان، وحومل، والخماسين، والمحامة، ومصدّة، والدوادمي.

الجانب المعجمي والدلالي:

١– من حيث فصاحة الأعلام فإن التأمل في الإعلام الجغرافية يُظهر أن الأعلام عربية فصيحة، وإن كان بعضها ينطق بتخفيف الهمزات أو إمالة الحركات أو إبدالها. ومن ذلك: الشعراء، حيث تنطق بتخفيف الهمزة وإمالة ضم الشين. ومن ذلك: صفرا السر، حيث تم التخفف من همزة صفراء المتطرفة. ومن ذلك قلب همزة الذويب إلى واو. وقلب الهمزة في الحفاير والبدايع إلى ياء. وأما تخفيف الحركات وإمالتها فمن ذلك: أم رقيبة، والثوير، وحميّان، والعيينة والقويعية وغيرها.

وغالبية الأعلام هي من الفصيح الشائع الاستخدام، وقليل منها من قليل الاستخدام أو نادره، من نحو:

– لُبَيدة: ويعني الصوف المتلبد، أو الإقامة الدائمة.(٢)

– ظَلَم: ويعني الثلج أو بريق الأسنان.(٣)

---

(١) انظر: حسن عباس، خصا ئص الحروف العربية ومعانيها، ص ص ٧٢ – ٧٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٩ هـ، ٢٢٢/١٢.

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٨ هـ، ص ٨٢٧.

– العَرْمَة: والعَرْم يعني الدسم وبقية القدر.[١]

– الظُّلَيْف: والظَّلْف يعني الشدة في المعيشة، يقال ظلفت الأرض أي غلُظتْ وخشنت. – العِبْلَة: والعَبْل هو الضخم من كل شيء، يقال عبَلَ أي غلُظ وضخُم وابيضَّ.[٢]

– الزبدانيات: والزَّبد هو العطاء، وفي الحديث (إنا لا نقبل زَبَد المركين) أي هديتهم. وأزبد الشيء أي اشتد بياضه. [٣]

– ساجر: والساجر هو السيل، يقال سجر النهر أي ملأه، ومنه قوله تعالى (وإذا البحار سجّرت)، وقوله تعالى (والبحر المسجور).[٤]

– الرُّكَيَّة: أي البئر التي لم تُطو، والجمع ركايا ورُكيّ.[٥]

– الرُّدَينيّات: وهي الرماح، وواحدها رُدينيّ، نسبة إلى رُدينة، وهي امرأة كانت تقوّم الرماح، ومنه قول الشاعر:

تصيح الرُّدَينيّات فينا وفيهُمُ * صياح بنات الماء أصبحن جُوَّعا[٦]

– دَسْمَان: والدسم هو اللحم والشحم، يقال هو على دسْم الأمر أي على طَرَفٍ منه.[٧]

– الدَّوادمي: والدُوادم شيء كالدم يخرج من السّمر أو من شجر العَرْز.[٨]

---

(١) السابق، ص ٨٦٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢٥٨/٨.

(٣) السابق، ١٠/٦.

(٤) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٥٩٤.

(٥) السابق، ، ص ٥٢٩.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ١٩٧/٥.

(٧) السابق، ٣٤٨/٤.

(٨) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٤٥٩.

– دَفْنى: الدَّفْن مصدر دَفَنَ، ومن معانيه الحوض والبئر والمنهل الذي يندفن.(١)

– حُدَيجة: والحدج نبات الحنضل، ويطلق على طائر القطا. يقال حَدَج الولد بنظره أي حدّق النظر إليه في فزع وروع.(٢)

– الجِلْه: يقال جَلَه الشيء أي ردّه عن أمرٍ شديد، أو كشفه. وجَله الحصى عن الموضع أي نحّاه عنه.(٣)

٢– من حيث الجانب الدلالي، فوفقا لنظرية الحقول الدلالية فإني أجد أن الأعلام تندرج – غالبا – تحت الأقسام التالية:

أ – الأعلام المأخوذة من مكونات الطبيعة الصحراوية، بما تحمل من أحجار وأشجار ومرتفعات، ونحوها، من نحو: أبرق الملح، أبو سدرة، الأرطاوي، أبو عشيرة، أبو قاع، الأكوام، أم أثلة، الحصّيّات، الحفاير، الحصاة، الحصّيّات.

ب – الأعلام المأخوذة من أسماء الحيوانات والطيور التي تعيش فيها، من نحو: أبرق الطير، أبو جراد، سَنَام، الشّاة، الذُّوَيْب، الثوير، عُنَيْزَة.

جـ – الأعلام المأخوذة من أسماء أعضاء الإنسان أو الحيوان، أو صفاتهما، نحو: أم رقيبة، أبو سنون، الأصيم، خَشْم جُوَيْل، رَوضة أمّ خُشَيم، السُّرَّة، صَفْرا السِّرّ، العُرَيْق، كَبِد، كُتَيْفَة.

د– الأسماء المنقولة من الألوان أو الصفات العامة، من نحو: الأخضر، الباردة، البيضاء، الصُّفْرَة، الحُلوة، صفرا السر، المَكَاحِيل، مُطْرِبة، المنْدَسَّة.

وكل هذه الأصناف تعني أن الأعلام كانت مستوحاة من البيئة المادية التي كان يتعايش معها سكان تلك البيئة.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٣٧٤/٤.

(٢) السابق، ٧٨/٣.

(٣) السابق، ٢/ ٣٤١.

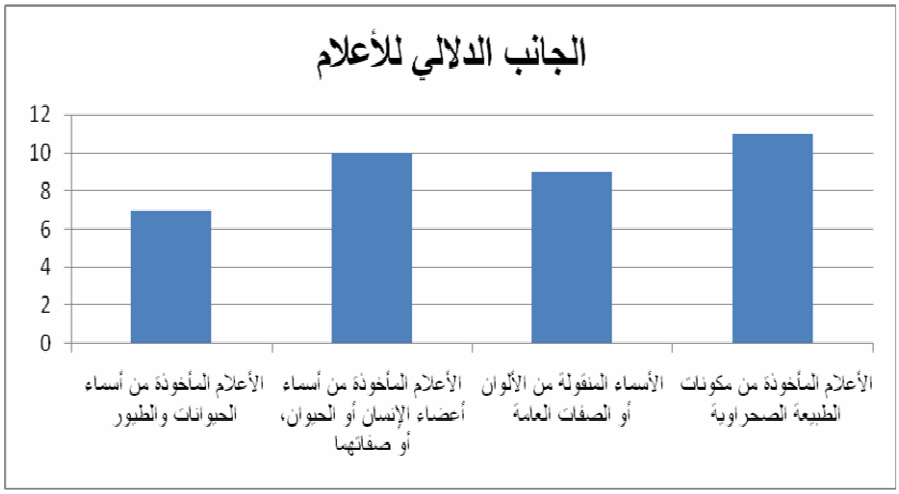

الجانب الصرفي:

١- من حيث تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف: فقد جاءت جميع الأعلام بصيغة الاسم ، ما عدا علم واحد، منقول عن الفعل المضارع، وهو "يذبل"، وهذا يتوافق مع السياق العام للأعلام في العربية، فالمنقول عن الأفعال قليل.

٢- من حيث الإفراد والتثنية والجمع: وجدت أن عدد الأعلام التي جاءت بصيغة الجمع أو المضاف إلى الجمع ١٩ علما، وهي: أبو جراد، أبو حراب، أبو سنون، الأكوام، أم البيبان، البدايع، الحصِّيّات، الحفاير، الحَنَابِج، الخَمَاسِين، الرُّدَينيّات، الرَّفايع، الزَّبْدانيَّات، الشَّعراء، العَرَايس، أُمَ الشَّلاهِيب، قُرَيْنات، المَكَاحِيل، وادي المياه. وبقية الأسماء جاءت بصيغة المفرد، وليس هناك أعلام بصيغة المثنى. وأحسب أن هذا موافق لطبيعة الكلمات في اللغة، فالأصل في الكلمات الإفراد.

٣- من حيث الإفراد والتركيب: جاءت أغلب الأعلام بصيغة الإفراد. وجاء ١٧ علما بصيغة التركيب، وكلها مركبة تركيبا إضافيا، وهي: أبرق الطير، أبرق الملح، أبو جراد، أبو حراب، أبو سدرة، أبو سنون، أبو عشيرة، أبو قاع، أم أثلة، أم البيبان، أُمَ الشَّلاهِيب، أم رقيبة، خَشْم جُوَيْل، رَوضة أمّ خُشَيم، سناف

الطراد، صَفْرا السِّرّ، وادي المياه. وهي – أيضا – نسبة متوازنة، فالأكثر في العربية استخدام الإفراد.

٤- من حيث التذكير والتأنيث: يوجد ٥٠ علما بصيغة المذكر، و٥٠ علما بصيغة المؤنث، وهي نسبة متوازنة.

٥- من حيث الاشتقاق والجمود: تنوعت الأعلام في هذا الإطار، فجاء ٢٧ علما بصيغة المشتق، وهي: أبرق الطير، أبرق الملح، الأخضر، الأصيم، الباردة، البدايع، البيضاء، جاحد، الجربا، حائل، ساجِر، الصَّاخِن، الصَّالحيَّة، صُبَيْحَا، صَفْرا السِّرّ، العَرَايس، المَحَامَة، المَرْوَة، مزْعِل، مُصِدَّة، مُطْرِبة، المَكَاحِيل، المنْدَسَّة، النَّبَّاع، الوُسَيْطَى، يَذْبُل.

وقد توزعت هذه الأعلام بين أنواع المشتقات، فجاءت ٩ أعلام بصيغة اسم الفاعل، و٣ أعلام بصيغة اسم المفعول، و٤ أعلام يصيغة الصفة المشبهة، وعلم واحد بصيغة المبالغة، و٩ أعلام بصيغة التفضيل، وعلم واحد بصيغة الفعل المضارع.

وأحسب أن هذا التنوع بين الاشتقاق والجمود منطقي، ويماثل الطبيعة الجغرافية المكونة من جوامد ومتحركات؛ فالجبل والحجر والبئر ونحوها أشياء ثابتة، والريح والسحاب والمطر ومياه الوادي ونحوها أشياء متحركة. وأحسب أن الأعلام التي تصف الأماكن جاءت انعكاسا للطبيعة الجغرافية.

٦- من حيث التعريف والتنكير: تنوعت الأعلام بينهما، حيث وجدت أن ٧٠ علما جاء معرفا، إما بالتعريف بـ "ال"، وعددها ٥٣ علما، وإما بالتعريف بالإضافة، وعددها ١٨ علما. ، وجاء ٢٩ علما بصيغة التنكير. وهي نسبة منطقية، فكثير من الأماكن مشهورة ومعروفة، مما سوّغ استخدامها بأدوات تعريف.

٧- من حيث استخدام أسلوب التصغير: وجدت أن هناك ١٣ علما بصيغة التصغير. ويبدو لي أن هذا عائد إلى محاولة وصف طبيعة المكان.

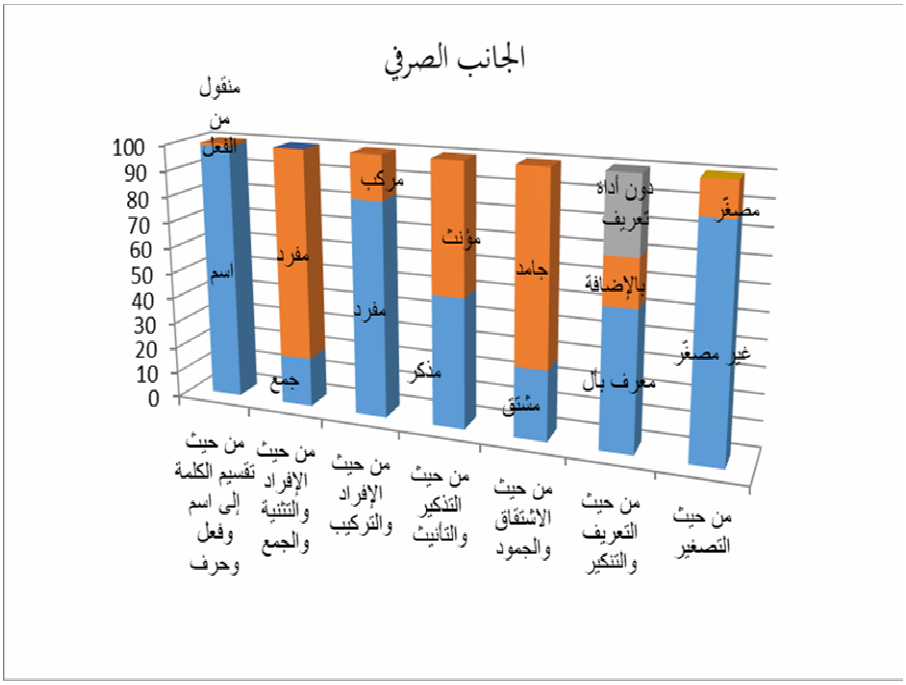

الجانب البلاغي:

جاءت الأعلام الجغرافية مطرّزة بالعديد من الفنون البلاغية، ما بين كناية واستعارة تصريحية واستعارة مكنية، ومجاز مرسل ومجاز عقلي، ومن ذلك الأعلام التالية: أم البيبان، المنْدَسَّة، مُطْرِبة، الحُلوة، العُرَيْق، أبو حراب، أبو سنون، العُيَيْنَة، كَبِد، كُتَيْفَة، خشم جويل، المَكَاحِيل، أبرق الطير، الأصيم، صَفْرا السِّرّ، الثوير، تين، حَلَبَان، العَرَايس، أُمَ الشَّلاهِيب، يذبل.

ويظهر عن طريق استعراض الأعلام السابقة اعتمادها على الأسلوب التشخيصي، على سبيل المثال، مثلك أبو سنون، ويذبل، إذ هي من خواص الأحياء، وتم إطلاقها على الجوامد. والأسلوب التصويري، نحو: كبد، وكتيفة، والعيينة، وصفرا السر، وخشم جويل.

ثانيا: الأبعاد الثقافية للأعلام:

جاءت الأعلام الجغرافية مفعمة بالأبعاد الثقافية، وكانت انعكاسا ظاهرا لما تزخر به تلك البيئة من مكونات جغرافية واجتماعية وفكرية، وكانت انعكاسا لطبيعة الزمان والمكان والإنسان الذي يشغلهما، والعوامل التي تتحكم فيهما.

فمن حيث البُعد الجغرافي وجدت أن هناك ستة وستين علما تم سكّها وفقا لطبيعتها الجغرافية، وكأنما هي وصف لتلك الطبيعة، ومن ذلك: أبرق الملح، أبو جراد، أبو سنون، الأكوام، أم رقيبة، أم أثلة، الباردة، الخماسين، الحفيرة، الرفيعة، الرفايع، سنام، فجّ، المندسّة، وادي المياه، حائل، الحصاة، كَبِد، المَكَاحِيل، المحامة، النَّبَّاع، الهضيب. وأحسب أن البعد الجغرافي هو السمة الغالبة على الأعلام الجغرافية، فنسبة ٦٦% تعادل ثلثي العدد االكلي للأعلام تقريبا.

أما من حيث البُعد الاجتماعي فبالتأمل في ارتباط الأعلام بالجانب الاجتماعي وجدت ثلاثة أعلام منسوبة لأشخاص أو لمكوّنات اجتماعية، وهي: "الصَّالحيَّة"، نسبة للصوالح من قبيلة عتيبة. و"العَرْمَة"، نسبة لمالك الوادي، وهو العرم الشيباني، من قبيلة عتيبة. و"الدلبحية" نسبة لقبيلة الدلابحة من عتيبة.

وأحسب أن هذه النسبة قليلة؛ نظرا لكون العرب تسود فيهم – غالبا – روح الانتماء للقبيلة، والولاء لشيوخها ورموزها.

ومن الملحوظ في قائمة الأعلام كثرة الأعلام المصدّرة بأب أو أم، نحو: أبو جراد، أبو حراب، أبو سدرة، أبو سنون، أبو عشيرة، أبو قاع، أم أثلة، أم البيبان، أم رقيبة، أُمَ الشَّلاهِيب. وأحسب أن هذا من الاستخدامات الاجتماعية الشائعة، فهم يطلقون هذا الاستخدام على الشيء الذي يشتهر بصفة ما أو يكثر فيه نوع من الأنواع.

أما من حيث البعد الفكري فيبرز اسم مدينة "الشعراء"، حيث يذكر المؤرخون أن سبب تسمية هذه المدينة بهذا الاسم يعود لكثرة شعرائها وتميّزهم، ومنهم محمد بن عبدالله بن بليهد، ويعد بن محمد بن يحيى، وسعد بن إبراهيم ابو معطي، محمد بن سعد الحمقي، وغيرهم.(١)

أما من حيث البعد التاريخي فيظهر العلم "سناف الطراد"، حيث سمّي هذا الموقع بهذا الاسم لأنه وقعت فيه معركة حربية بين قبيلة عتيبة من ناحية وقبيلة قحطان والدواسر من ناحية أخرى، واستمرت عدة أيام وحصل فيها عراك شديد ومطاردة على ظهور الخيول.(٢)

* *

(١) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد، ص ص ٧٦١ ـ ٨١٢.

(٢) انظر: السابق، ص ٧٠٨.

الخاتمة:

أظهر الإطار النظري للبحث أن اللغة تشكل جزءا من تاريخ أي مجتمع، فدراسة مفرداتها وتطورها وتحليل محتويات كلماتها يشكل مفتاحا مهما لدراسة المجتمع ومعرفة أسراره. ولا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعنيين؛ لأن فيها من الإنسان فكره وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه. إن البيئة التي تنشأ فيها اللغة تؤثر كثيرا فيها، فالأعلام الجغرافية مفردات لغوية، واللغة انعكاس للبيئة التي تصاغ فيها.

وتعدّ الأسماء الجغرافية سجلا مهما من سجلات التراث الثقافي الإنساني، فالمكان أسبق في وجوده من الوجود الإنساني، فالأسماء الجغرافية انعكاس لأحداث تاريخية وبيئة ثقافية، وظروف جغرافية، وهذا يعني أننا نقف أمام رصيد معرفي وحضاري ذي قيمة عالية.

كما أن علم اللغة اقتبس طرائق علم الجغرافيا ليضع حدودا للغات واللهجات المختلفة، في خرائط تبين معالم كل لغة ولهجة، من حيث استعمال المفردات والتراكيب، من حيث البنية والمترادفات وحجم الاستعمال، مما يتيح معرفة الواقع اللغوي للمنطقة الجغرافية، ويتيح معرفة الفكر المحلي الموروث، ويكشفُ عن الهُوية الثقافية، كما يكشف عن العقلية الجمعية المُشتركة.

وكشف الإطار التطبيقي للبحث عن مجموعة من النتائج، منها:

١- أن التركيب الصوتي للأعلام الجغرافية يغلب عليه استخدام الأصوات القوية، كالمجهورة والانفجارية والمفخمة، وهو ما يتسق مع طبيعة البيئة التي نشأت فيها.

٢- أظهرت الدراسة أن الأعلام عربية فصيحة، وإن كان بعضها ينطق بتخفيف الهمزات أو إمالة الحركات أو إبدالها.

٣- أظهرت الدراسة أن الأعلام الجغرافية تنتظم – غالبا – في الحقول الدلالية التالية:

أ- الأعلام المأخوذة من مكونات الطبيعة الصحراوية.

ب- الأعلام المأخوذة من أسماء الحيوانات والطيور التي تعيش فيها.

جـ- الأعلام المأخوذة من أسماء أعضاء الإنسان أو الحيوان. د - الأسماء المنقولة من الألوان.

وكل هذه الأصناف تعني أن الأعلام كانت مستوحاة من البيئة المادية التي كان يتعايش معها سكان تلك البيئة.

٤- أظهرت الدراسة أن الأعلام التي جاءت بصيغة الجمع، أو المضاف إليه جاء بصيغة الجمع عددها ١٩ علما وبقية الأسماء جاءت بصيغة المفرد، وليس هناك أعلام بصيغة المثنى.

٥- جاءت أغلب الأعلام بصيغة الإفراد. وجاء ١٦ علما بصيغة التركيب، وكلها مركبة تركيبا إضافيا.

٦- يوجد ٤٩ علما جاء بصيغة المذكر، و٥١ علما بصيغة المؤنث، وهي نسبة متوازنة.

٧- من حيث الاشتقاق والجمود: تنوعت الأعلام في هذا الإطار، فجاء ٢٧ علما بصيغة المشتق، وأحسب أن هذا التنوع بين الاشتقاق والجمود منطقي، ويماثل الطبيعة الجغرافية المكونة من الجوامد غالبا.

٨- جاءت الأعلام الجغرافية مطرّزة بالعديد من الفنون البلاغية، ما بين كناية واستعارة تصريحية واستعارة مكنية، ومجاز مرسل ومجاز عقلي وأسلوب تشخيصي وتصويري.

٩- جاءت الأعلام الجغرافية محملة بالأبعاد الثقافية، وكانت انعكاسا ظاهرا لما تزخر به تلك البيئة من مكونات جغرافية واجتماعية وفكرية، وكانت انعكاسا لطبيعة الزمان والمكان والإنسان الذي يشغلهما، والعوامل التي تتحكم فيهما.

١٠- لم تظهر الأبعاد التاريخية أو السياسية كثيرا في الأعلام المدروسة.

وأختم البحث بالتوصيات التالية:

١- حث الباحثين على الاعتناء بالمعاجم الجغرافية باعتبارها مصدرا مهما من مصادر اللغة والثقافة والحضارة والتاريخ وشجرة المعارف العامة.

٢- حث الباحثين على الاعتناء بالدراسات التي تربط اللغة بعلم الجغرافيا، باعتبار الأعلام الجغرافية ثروة لغوية، تحمل قضايا صرفية ونحوية ودلالية.

٣- حث الباحثين إلى توعية الجمهور بالقيمة الحضارية والتراثية لأسماء الأماكن ودورها في تشكيل الهوية.

٤- حث الباحثين على تجاوز الاهتمام بالمشكلات المتصلة بتهجئة وكتابة الأسماء الجغرافية إلى الاعتناء بها بصفتها عنصراً وظيفياً ذا تأثير في نظام التواصل الاجتماعي.

٥- حث الباحثين والمسؤولين البلديين على الاهتمام بالحفاظ على أسماء الأماكن القديمة، والاعتناء بسك الأسماء الجديدة للأماكن، كالمدن والقرى والشوارع والساحات ونحوها، باعتبارها انعكاسا للهوية الاجتماعية والوطنية.

٦- حث الباحثين على الاهتمام بربط الدراسات اللغوية بالأعلام الجغرافية، وتناول أبعادها اللغوية والتاريخية والثقافية والحضارية.

٧- تمثل الدراسات اللغوية في الميدان الجغرافي أهمية بالغة في معرفة الخصائص اللغوية ومعرفة التطور الدلالي والتنوع الثقافي للبيئات المختلفة.

المصادر المراجع:

- إسماعيل، محمد السيد، **بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة**، الشارقة، الإمارات، دار الثقافة والإعلام، ٢٠٠٢م.
- باشلار، غاستون، **جماليات المكان**، ترجمة: غالب هلسا، ط ٢، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٠٤ هـ .
- باي، ماريو، **لغات البشر أصولها طبيعتها وتطورها**، ترجمة: صلاح العربي، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٨٠م.
- بشر، كمال، **علم الأصوات**، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
- جباس، هدى، الاسم: هوية وتراث، مقاربة أنثروبولوجية لدلالة الأسماء في قسنطينة، (١٩٠١-٢٠٠١م)، **مجلة إنسانيات**، العدد ٢٩-٣٠، وهران، الجزائر، منشورات CRASC ، ٢٠٠٥م.
- جبر، يحيى، الأعلام الجغرافية: دراسة في تكونها وفلسفتها، القاهرة، مصر، **مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة**، ج٨٠، نوفمبر ١٩٩٦م.
- بن جنيدل، سعد بن عبدالله، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد (إمارات الدوادمي والقويعية والخاصرة وعفيف ووادي الدواسر وغيرها)**، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٩ هـ.
- جوزيف، جون، **اللغة والهوية**، ترجمة: عبدالنور الخراقي، الكويت، المجلس الوطني للآداب والفنون، سلسة عالم المعرفة، ٢٠٠٧م.
- حسان، تمام، **اللغة بين المعيارية والوصفية**، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، ١٩٩٢م.
- الحميد، عبدالعزيز، **ابن بطوطة وجهوده اللغوية الجغرافية: ألفاظ الأطعمة والأشربة أنموذجا**، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

- الحميد، عبدالعزيز، نحو أطلس لغوي جغرافي للجزيرة العربية، بحث منشور ضمن أعمال **مؤتمر "اللغة العربية ومواكبة العصر"** المعقود في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، في ١٧ ـ ١٩ جمادى الأولى عام ١٤٣٣ هـ، المحور الثاني، القسم الثاني.
- الخطابي، إبراهيم، الأسس النظرية والمنهجية لأطلس مجتمع اللسان العربي، **مجلة اللسان العربي**، العدد ٤٤، شعبان ١٤١٨ هـ ـ ديسمبر ١٩٩٧ م.
- الزقرطى، إبراهيم موسى، **أسس الأسماء الجغرافية**، عمّان، الأردن، المركز الملكي الجغرافي الأردني، ١٩٩٧م.
- السويل، عبدالعزيز بن إبراهيم، نحو أطلس لغوي سعودي، **مجلة دارة الملك عبدالعزيز**، الرياض، مجلد ١٧، ١٩٩١م.
- الشناوي، خالد نعيم، الأطلس اللغوي والبحث اللساني عند العرب: مقاربة منهجية، العراق، **مجلة آداب ذي قار**، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العدد ٣، المجلد١، ٢٠١١م.
- عباس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، القاهرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
- عبدالتواب، رمضان، الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر، القاهرة، **مجلة مجمع اللغة العربية** العدد ٣٧، مايو، جمادى الأولى، ١٩٧٦م.
- عساكر، خليل محمود، الأطلس اللغوي، القاهرة، **مجلة مجمع اللغة العربية**، العدد ٧، ١٩٥٣م.
- فاسولد، جرالف، **علم اللغة الاجتماعي للمجتمع**، ترجمة: إبراهيم صالح الفلاي، الرياض، طباعة ونشر جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٨ هـ.

- القحطاني، فهد بن سعيد، **أسماء الأماكن في منطقة عسير، دراسة لغوية،** رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٤ هـ.
- القرني، مكين بن حوفان، **أسماء الأماكن في منطقة مكة المكرمة: دراسة لغوية،** رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٤ هـ .
- بو كاري، أحمد، الأعلام الجغرافية كمصدر من المصادر الحضارية، في الاسم الجغرافي: تراث وتواصل، المحمدية، المغرب، **أعمال الندوة الوطنية الأولى للأعلام الجغرافية،** مطبعة فضالة، أكتوبر، ١٩٩٤م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب،** ط٣، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٩ هـ.
- نعيم، خالد، **الأطلس اللغوي في التراث العربي دراسة في كتاب سيبويه،** لندن، دار السياب، ٢٠١٠م.
- وافي، علي عبد الواحد **علم اللغة،** ط ١٠، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٩٧م.
- يحيى، حسن عايل، معاجم أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية، **مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والتربية** - كلية المعلمين بجدة، العدد ٢، السنة الأولى، جمادي الأول ١٤٢٥ هـ.
- منشورات الأمم المتحدة، **مؤتمر الأمم المتحدة التاسع المعني بتوحيد الأسماء الجغرافية،** نيويورك، ٢١-٣٠ آب/أغسطس ٢٠٠٧م.

* * *